الراديو وأثره في نشر اللغة

استزارني يوماً احد مديري المدارس فرحب بي وعرّفني بالأفاضل من أساتذة مدرسته . وهناك جرى ذكر اللغة العربية ووجوب العناية بنشر الفصحى بين النشء وتعميم ملكتها في نفوسهم . وأدّى بنا الحديث الى تعداد الوسائل التي يحصل بها ما ذكر . فكان مما اتفقنا عليه أنّ (الراديو) اصبح اليوم أعظم تلك الوسائل أثراً في نشر اللغة : فإن اصغاء الجمهور اليه . واهتمامهم بتفهم أخباره . وتداول تلك الاخبار بينهم يحكيها بعضهم الى بعض ويرويها بعضهم عن بعض . كل ذلك يجعل صورة كلمات اللغة ترسخ في أذهانهم على الوجه الذي سمعوه : فان سمعوا الكلمات صواباً حفظوها ورووها صواباً . وإلا وَعوْها وأدّوها خطأ .

يسمعون من (الراديو) مثلاً قوله (بقيتْ جيوشُ اليونان وَحدُها تقاتل في تلك المنطقة) فاذا هو يلفظ كلمة (وحدُها) مرفوعةً على ظن أنها صفة للجيوش مع انها دائماً منصوبة على الحال بمنزلة قولنا (منفرداً) . ويسمعونه يقول (أغرقت الطائرات باخرةً حمولتها خمسة آلاف طن) بفتح حاء (حَمولتها) وهو خطأ صوابه ضمها : إذ أن المراد بها الأحمال التي تحملها الباخرة . أما الحمولة بفتح الحاء فالدابة تحمل الأحمال .

وقد وافق مدير المدرسة الفاضل على ما كان يدور في المجلس من هذا الحديث ثم أيده بملاحظاته الخاصة التي اعتاد أن يدوّنها عن تلامذته . وقال ان الكثيرين منهم اصبحوا يستعملون من فصيح الكلام وصحيح الاساليب مالم يكونوا يعرفونه لولا اصغاؤهم الى (الراديو) . كما أنهم احياناً يرتكبون اخطاء في نطق كلمات تسرّبت اليهم من فم (الراديو) ذلك المخلوق العجيب الذي اصبحت له اليد الطولى في نشر اللغات . وتصوير مختلف اللهجات

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم خفَّ المدير الى حيث الطلاب وأتى بواحد منهم وناوله من على المنضدة جريدة يومية وقال له أسمع الاستاذ ·

فانبرى الطالب يقرأ علينا بصوتٍ جهير ونبرات متزنة · وكنا نراه إذا اخطأ في نطق كلمةٍ اعتذر بأنه هكذا سمعها من الراديو · وكان مما قرأه علينا من إذاعات الراديو هذه الجملة : (قصفت الطيارات المدينةَ بعنفٍ وبقيت النيران مستعرة فيها طيلةَ النهار الى المساء)

ففتح الطالب وهو يقرأ الجملة نون (نَيران) وجمعها على وزن حَيران · وكسر ميم (مساء) وجعلها بوزن نِساء · وشدَّد الراء من (مستعرة) وجعلها بوزن (مستمرَّة) فصححنا له خطأه الذي التقى تبعته على عاتق الراديو · وقلنا له : النيران مكسورة النون جمع نار كما ان الجيران والفيران أولها مكسور وهما جمع جار وفار · وكذلك (مساء) ميمه مفتوح وكلمة (مستعرة) راؤها مخففة على وزن مفتقرَة : لأنها اسم فاعل من استعرَتْ النار اتقدت · فهو من (افتعل) ومشتق من السعير · ولو كانت (مستعرة) مشددة الراء لكانت من باب (استفعل) وكانت مشتقةً من العرّ (بتشديد الراء) وهو الجرب · ولَفظَ التلميذ كلمة (عَنف) بفتح العين كما سمعها من الفاضل مذيع بيروت · فنصحَ له بعض الحاضرين أن يلفظها بضم العين لا بفتحها فقلتُ له ان الضم هو المشهور بيننا ولكن الفتح جائز كما نصوا عليه ·

* * *

ثم انتقل الجدل بين الحاضرين الى كلمتي (طيلة) و (قصف) هل هما فصيحتان فيما يستعملان فيه ؟ وسألوني رأيي في أمرهما فقلت :

عجبًا لهذا الحظّ الذي رُزقته كلمة (طيلة) فان الناس أولعوا بها إلى ما وراء الغاية · فيقولون طيلةَ النهار · وطيلةَ الدهر · أي مدتهما الطويلة · وهذا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الاستعمال خطأ او هو على الأقل غيرُ مطابقٍ للاستعمال الفصيح : فان أهل اللسان انما يعرفون (الطيلة) بمعنى العمر لا بمعنى طول المدة فاذا أرادوا طول المدة قالوا مثلاً « لا اكلمك طولَ الدهر او طَوالَ الدهر » بفتح الطاء . ويقولون (بتُّ سهران طُول الليل أو طَوال الليل) ولا يقولون (لا اكلمك طيلةَ الدهر) ولا (سهرتُ طيلةَ الليل) واذا اراد البلغاء استعمال كلمة (الطيلة) قالوا هكذا : (أطال الله طِيلةَ فلان) أي أطال الله عُمرَه . فالطيلة اذن انما تستعمل بمعنى العمر .

وأراني جريئًا على القول بأن (الطِيلة) لا يحسن استعمالها في غير المقام الذي استعملها فيه البلغاء وهو مقام الدعاء . فيقول احدنا لأخيه (اطال الله عمرك وفسحَ في طيلتك . أو أمدَّ الله في طِيلتك) ونحو ذلك ولا اظنني سمعتهم يستعملون (الطِيلة) في غير هذا التركيب او ما ضُرب على غراره . فلنا أذن مندوحة عن كلمة (طيلة) بكلمتي (طُول) و (طَوال)

بقي علينا فعل (قصفتْ الطياراتُ المدينةَ) وهذا الفعل وهو (القصف) بهذا المعنى مما استحدثه أو ولده الراديو وفرضه علينا فرضًا . ولعلنا لم نسمعه الا في هذه الحرب . وفي عهد المذبعين المفوّهين . وكأنَّ المذيع الأول منهم أراد أن يترجم لنا بالقصف كلمة (*Bombarder*) الإفرنسية فيكون التعبير العربي مشابهًا للتعبير الافرنجي في وَحدة اللفظ بعد ان كانوا يقولون (اطلقت الطيارة القنابلَ) و (ألقت القذائفَ) فاكتفوا بكلمة (قصفت) مكان الكلمتين . ثم انَّ معنى القصف في اللغة الكسر : قصفَ فلانٌ العود كسره وريح قاصف شديدة تقصف الأشجار . فهو فعل يتعدَّى الى مفعول . ثم استعمل فعلُ القصف مجازاً في جلجلة الرعد فيقولون رعدٌ قاصف أي شديد الصوت مجلجل . وقصفَ الرعدُ اشتد صوته . وقد لاحظ القارئُ انَّ فعل (قصف) في استعماله المجازي اصبح لازمًا بعد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان كان متعديا . وربما سأل سائل : ماهي المناسبة بين المعنى الحقيقي وهو الكسر وبين المعنى المجازي وهو اشتداد صوت الرعد ؟؟ المناسبة هي أن المرء وهو يسمع جلجة الرعد يخيل اليه ان شيئًا يتكسر ويتقصف في عنان السماء ومن هذا المعنى المجازي اخذ رجال الإذاعة فعل (قصف) اللازم الدال على اشتداد صوت التنابل الملقاة من الطيارة . لكنهم حوّلوه من اللزوم الى التعدية للمفعول فهم يقولون (قصفت الطيارة المدينةَ) بعد ان ضمنوا فعل (القصف) معنى القذْف والرمي . فتأويل (قصفت) الطيارة المدينة اشتد صوت الطيارة قاذفةً المدينةَ بقنابلها قذفًا له صوت يشبه قصف الرعد في شدته . والتضمين كثير الورود في كلام العرب . وفي القرآن الكريم شواهد كثيرة عليه . فهذا الاستعمال الجديد لفعل (قَصفَ) الذي استحدثه المذيعون نقبله منهم ونشكرهم عليه . لكننا نحتفظ لأنفسنا حق الرجاء لهم في التثبت من بعض الكلمات الأخرى والرجوع الى المعاجم في ضبطها وليس ذلك عليهم بالأمر العسير كما نلتمس من المذيع الأكبر مذيع لندن خاصةً ان يقتصر في قلقلة الحروف الأخيرة من الكلمات على حروف (قطب جد) الخمسة : فلا يقلقل الميم من كلمة (النظام) ولا اللام من كلمة (القتال) ولا النون من كلمة (الألمان) وذلك وفقًا لما نقرر في (علم التجويد) وتفاديًا من مخالفة أصول الأداء العربي .

* * *

ونذكر بهذه المناسبة كلمة أو تعبيراً جديداً اصطلح عليه (الديبلوماسيون) المعاصرون وأملاه علينا في هذه الأيام المذيعون ولم نعهد اننا سمعناه قبل هذه الحرب القائمة :

ذلك أن من خاض غمرات الحرب بالفعل سموه (محارباً) وضده (الحيادي او المسالم) وهو الذي لا ناقة له في الحرب ولا جمل . ثم رأى هؤلاء الديبلوماسيون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

انهم في حاجةٍ الى اعتبار حالةٍ ثالثة لا يصح ان يوصف صاحبها بالمحارب ولا بالمسالم الحيادي فاصطلحوا على تسميته (باللامحارب) . وكأنهم يريدون بتوصيفه بالحرب ثم نفيها عنه بحرف النفي (لا) أن ظروفًا استثنائية او جغرافية جعلته على أهبة الحرب والاستعداد لها . او على وشك الدخول فيها عند اول فرصة . أو انه لا يخلو من ميلٍ في نفسه الى احد الفريقين المتحاربين

فالحالات اذن ثلاث (حيادي) (*neutre*) محارب (*en état de guerre*) لا محارب (*non belligérant*) ويظهر ان هذه الكلمات العربية الثلاث انما اصطلح عليها المذيع الاول او الديبلوماسي العربي الاول ترجمة للكلمات الافرنجية الثلاث وقد قام في وضع هذا الاصطلاح بوظيفة المجمع العلمي فالشكر له على كل حال .

***

ومن لطيف الاتفاق ان يقع نظري على كلمتين في لغتنا العربية تصلحان للقيام مقام كلمتي (المحارب) و (اللامحارب) .

وهما كلتا (عُدَى) بضم العين و (عِدي) بكسرها : وقد فسروا ذات الضم بالأعداء الذين نقاتلهم . وفسروا الثانية ذاتَ الكسر بالأعداء الذين لا نقاتلهم . فالعدى بالضمّ المحاربون بالفعل . والعدى بالكسر اللامحاربون لكنهم مستعدّون لها متهيؤون .

وقد رأيتُ هذه التفرقة بين كلمتي (عُدى) و (عِدى) في (محيط المحيط) للبستاني ووافقه عليها صاحب اقرب الموارد . لكنهما لم يشيرا الى المصدر الذي اعتمدا عليه في حكاية هذه التفرقة المليحة التي نحن في حاجة اليها والى امثالها من الاوضاع الجديدة . ثم راجعتُ اللسان والتاج والصحاح والأساس والمصباح فلم اعثر على تلك التفرقة بين الكلمتين المذكورتين غير ان اللغويين قالوا كلاماً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في معنى (العدى) بالكسر أحسبه السبب الذي حمل صاحب المحيط على اعتبار هذه التفرقة :

فقد قال اللغويون ان (العدى) مكسورة العين تكون بمعنى الغرباء الأجانب عنك . وذكروا شاهداً عليه قول الشاعر :

(إذا كنتَ في قومٍ عِدًى لستَ منهمو
فكل ما عُلفتَ من خبيثٍ وطيب)

فلعل صاحب المحيط استنتج من هذا التفسير لكلمة (عِدى) المكسورة انها بمعنى الأعداء الذين نلابسهم على علاتهم ولا نُثير عليهم حرباً ولا قتالا . فتبقى كلمة (العدى) بالضم لأولئك الذين نصارحهم العداوة ونناجزهم القتال بالفعل . والكلمتان نستعملان وصفين فيقال هؤلاء قومٌ عُدى . وأولئك قوم عِدى . واذا اريد المصدر جاز لنا ان نقول (عُدوية) من عُدى (بضم العين) اي (محاربة) ومن عِدى المكسور نقول (عِدوية) بكسر العين اي (لا محاربة)

على ان المجال مازال واسعاً امامنا للتثبت من هذه التفرقة بين الكلمتين ومن طريقة استعمالها وبعد ذلك يتسنى للمجامع العلمية وضع قرار بقبول تينك الكلمتين اللغويتين واستعمالها في الاصطلاحين الجديدين او بعدم قبولها بالمرّة والاكتفاء باستعمال الكلمات التي شاعت على لسان الراديو اعني (المحارب) و (اللامحارب) و (السلام)

المغربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net